

## الواحات المصرية فى التاريخ

يقص علينا الرحالة المصرى القديم . « خوفو حر » فى القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد أنه خرج . رحلته الثالثة للسودان من منطقة أسوان واتخذ طريق الواحات ، ولو تتبعنا رحلته فى تفاصيلها لأدركنا أنه سار فى الطريق المعروف الآن وهو محاذة ضفة النيل الغربية إلى قبيل وادى حلفا عند مكان يقال له « ساقية العبد » ثم سار فى الدرب الموصل إلى واحة « سليمة » على درب الأربعين الموصل إلى دارفور . وذكر خوفو حر لكلمة الواحات هو أقدم ما وصل إلينا فى النصوص المصرية ولكننا نعرف من الأبحاث العلمية أن مناطق الصحراء الغربية فى عصر ما قبل الأسرات كانت عامرة بالسكان وترى بقايا حضارة أهلها من آلات الطران فى جميع الواحات وفى مناطق أخرى أصبحت الآن جزءاً من الصحراء بعد انقطاع المياه عنها . وقد أثبتت دراسة هذه الآلات والأدوات صاة سكان الواحات منذ أقدم العصور . بسكان وادى النيل كما أثبتت أيضاً صلتهم بحضارات أخرى فى شمال أفريقية وجنوب أوروبا وشرق أفريقيا أيضاً .

ولست آلات الطران هى كل ما وصل إلينا من هذا العصر إذ يوجد عدد كبير من رسوم الحيوانات على درب الغبارى الموصل من الخارجة إلى الداخلة اكتشفها هاردينج كنج فى عام ١٩٠٨ ، كما عثرت فى عام ١٩٣٨ فى أحد شعاب جبل الطير شمال بلدة الخارجة فى درب مهجور على رسوم وكتابات كثيرة قبطية وديموتيقية وهيروغليفية ولكن أقدمها كلها رسوم لحيوانات متعددة من عصر ما قبل الأسرات شبيهة بما نجده من هذا العصر رسوماً على الصخر فى وادى النيل .

كانت الواحات — وما زالت — هى القنطرة بين ليبيا وبين وادى النيل ولعبت دوراً هاماً فى الحروب وفى التجارة وفى نقل الثقافة والحضارة فى مختلف



العصور ولهذا كان من الضروري أن نتوقع أن يختلف سكان الواحات عن سكان الوادى إذ أنهم خليط من البربر والبدو وسكان مصر وأواسط السودان . ومجموع سكان الواحات حسب تعداد ١٩٣٧ هو ٣٩٥٤٧ منهم ٤٠٤٤ يعيشون فى سيوة ويتكلمون لغة خاصة بهم وهى اللغة السيوية إحدى لهجات التغنغ ولهم عاداتهم التى تتصل بعادات البربر القديمة ولا تشبه عادات الواحات الأخرى ، أما الواحات البحرية والفرافرة فإنهما تكونان مجموعة واحدة ويتكلمون العربية وعاداتهم بعضها يشبه عادات أهل مديرية المنيا وبعضها خاص بهم وتعداد السكان فيهما ٦٣٩٤ ، أما أهالى الخارجة والدخلة وعددهم ٢٩١٠٩ فإنهم يختلفون فى لهجتهم وماداتهم عن أهالى البحرية والفرافرة وترى فيهم أثراً كبيراً من دم البربر وعاداتهم لهذا صارت دراسة عادات أهل الواحات من أهم المواضيع التى يجب دراستها قبل أن يقضى انتشار استعمال السيارات فى الصحراء على هذه العادات ، كما أن دراسة الآثار فى تلك البلاد تكشف لنا الكثير من الصلة بين مصر والبلاد الواقعة غربها وتوضح لنا مدى تأثير الواحات بما كان فى ليبيا من حضارات .

ونعرف من آثار الأسرة الأولى أن قبائل التحنو كانت تسكن غرب مصر بما فى ذلك الواحات وأنها كانت تغير من آن لآخر على غرب الدلتا وكان هؤلاء التحنو قريبى الشبه بالمصريين من حيث الجنس والمظهر ولكنهم اختلطوا مع مرور الأيام بجنس آخر وفد إلى بلادهم من شمال أوربا ويرجح العلماء أنها قبائل جرمانية عبرت من أسبانيا إلى الشاطئ الأفريقى حوالى عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد ثم انتشرت بعد ذلك على الشاطئ . ويلوح أن بعض هذه القبائل الجرمانية استقر فى الواحات أو فى غربى الدلتا وقد تزوج الملك خوفو أميرة منهم أصبحت أمّاً لفرع من العائلة المالكة المصرية ونرى رسم هذه الملكة ورسم ابنتها « مرسوعنخ » فى مقبرة الأخيرة شرقى الهرم الأكبر ونراها ترتدى ملابس تختلف عن ملابس المصريات هى بيضاء لون البشرة زرقاء العينين شقراء الشعر . وفى مبدأ أيام الأسرة الثانية عشر نلمح أثر اهتمام الملك امنمحات الأول بتطهير بلاده من أثر الفوضى السابقة وتأمين حدودها فأقام بعض الحصون



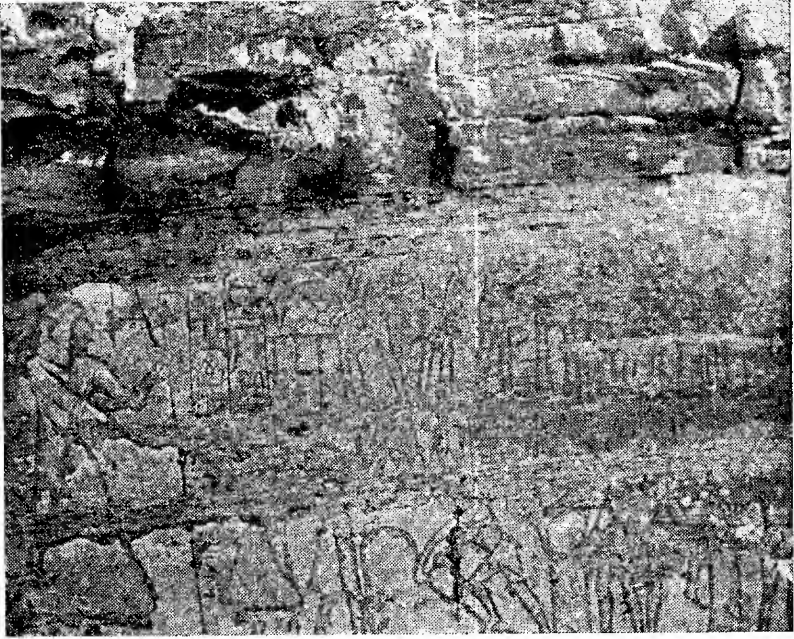
٢ - في أحد شعاب جبل الطير شمال بلدة الخارجة توجد نقوش كثيرة خلفها المسافرون في هذا الطريق ويرجع بعضها إلى عصر ما قبل الأسرات . وأكثرها من العصور التاريخية حتى العصر القبطي

على الحدود الغربية ما زال بقايا أحدها قائمة في وادى النظرون . وعندما مات امنمحات سار ابنه سنوسرت الأول على سياسته ولدينا بعض لوحات من عصره تشير إلى قيام بعض الموظفين بالمرور على الواحات ومعهم جنود لتأمين الطرق وإعادة الهاربين كما نعرف من ألقاب بعض الموظفين اهتمام هذا الملك بالصحراء وإدارتها . وبالرغم من أن أكثر المناطق الأثرية في الواحات ما زالت تنتظر من يقوم بحفرها فقد وصل إلينا القليل مما يثبت أنها بدأت تصطبغ بصبغة الحضارة السائدة في وادى النيل ابتداء من الأسرة الثانية عشر فقد رأى المرحوم الأستاذ جولينيشف بعض الآثار الصغيرة مع الأهالي وخاصة جعارين بأسماء ملوك الأسرة الثانية عشر وذلك أثناء رحلته إلى الخارجة عام ١٨٨١ كما عثرت في عام ١٩٤٣ في الواحات البحرية على جعران باسم الملك سنوسرت ونعلم من قصة الفلاح الفصيح أن التجارة بين وادى النيل والواحات وخاصة القرافرة كانت متصلة في عهد ملوك أهناسية أى في الأسرة العاشرة وعندما تولى الملك تحتمس الثالث عرش مصر وبدأ في تنظيم إدارة البلاد دخلت الواحات في عهد جديد وأصبحت كمقاطعة قائمة بذاتها ولكنها تتبع حاكم أبيدوس . وكان المصريون في ذلك العهد يعتبرون هذه البلاد كأنها ليست جزءاً من مصر لأننا نرى في مقبرة رخمار وفي مقبرة جويمرع وكلاهما في طيبة ومن عصر الملك تحتمس الثالث مناظر تمثل أهل الواحات وهم يحضرون الجزية إلى طيبة شأنهم شأن بلاد بونت وسوريا وكريت وغيرها . وفي هذه المناظر نلاحظ ما يأتى :

أولاً : أنهم كانوا يعتبرون الواحات مقسمة وحدتين وهما الواحات الشمالية والواحات الجنوبية وفي رأي أن الواحات الجنوبية تشمل الخارجة والداخلية معاً أما الواحات الشمالية فتشمل القرافرة والبحرية وسبوة .

ثانياً : إن أهل الواحات يشبهون المصريين في مظهرهم ولون بشرتهم ولا يختلفون عنهم إلا في تركهم شعر رؤوسهم يندو أكثر من سكان وادى النيل كما أن المئزر الملفوف حول الوسط كان مصنوعاً من قماش ملون ذى خطوط رأسية بينما لم يكن المصريون يلبسون إلا المئزر الأبيض .

ثالثاً : إن حاصلات الواحات هي الحصير والأواني المصنوعة من الخوص

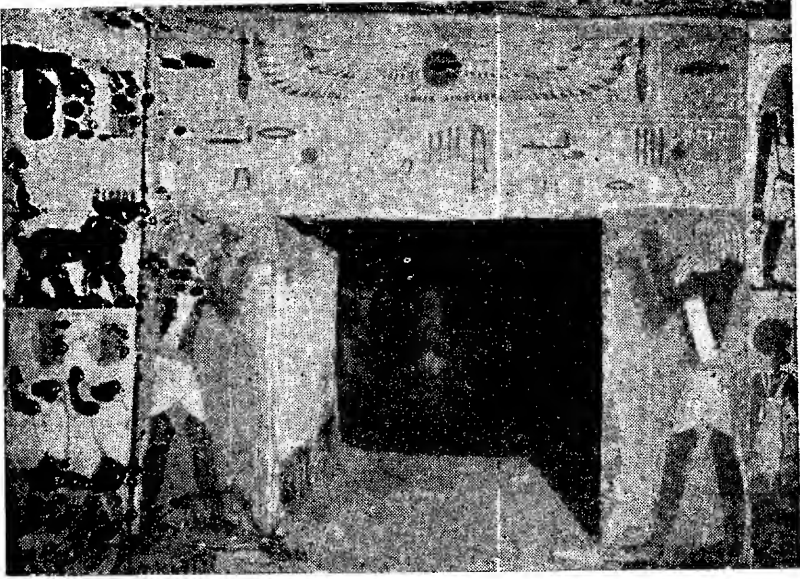


٣ - أقدم الآثار القائمة في الواحات لا يرجع إلى عصر أبعد من الدولة الحديثة . وهذا أحد مناظر مقبرة أمنحتب حاكم الواحات البحرية وأقدم المقابر المنقوشة في الصحراء الغربية وفراه واقفاً إلى اليسار ليشرف على أتباعه وهم يعمثون غرائر الغلال ويصفون أواني النبيذ

ذات الغطاء المخروطى الذى ما زال يستعمله أهل الواحات ويسمونها المراجين ثم جلود الثعالب وأنواع النبيذ المختلفة .

وآثار الأسرة الثامنة عشر قليلة جداً فى الواحات ولم أعثر من هذا العصر إلى الآن على شىء غير جعران باسم الملكة حتشبسوت فى الواحات البحرية وبعض الخرز الذى أرجح نسبته إلى هذا العصر ثم مقبرة امنحتب حاكم الواحات البحرية التى من المرجح أنها ترجع إلى أواخر أيام الأسرة الثامنة عشر أو أوائل التاسعة عشر . وهى مقبرة منحوتة فى الصخر ولا تقل نقوشها أو مناظرها عن مقابر وادى النيل . ونرى فيها صاحب المقبرة وهو يشرف على وضع أوانى النبيذ فى المخازن وتعبئة الغلال فى الغرائر . ونعرف من ألقاب امنحتب ومن نقوش المقبرة أنه من أهل الواحات البحرية وأنه أصبح حاكماً لها وهذا يدل على أن إصلاحات تحوتمس أتت بشمرتها وسرعان ما تقدم أهلها فأسند ملوك الأسرة الثامنة عشر مقاليد الأمور . إلى أحد أهلها . ولا تختلف هذه المقبرة فى أى شىء سواء فى مناظرها الدينية أو ملابس الأفراد عن أى مقبرة أخرى من هذا العصر فى وادى النيل .

واستمر ازدهار الواحات بل ازداد فى الأسرة التاسعة عشر ونرى أسماء سبتي الأول ورمسيس الثانى تحتل مكاناً بارزاً وفى معبد الأقصر نرى أسماء ثلاثة من الواحات وهى الخارجة والفراغة والبحرية ضمن البلاد التى كانت ترسل بالمعادن المختلفة إلى الملك رمسيس . ولكن محاولة الليبيين غزو مصر فى عهد منفتاح عرض الواحات لمحنة من محن الحروب إذ بدأ الأعداء بمهاجمة الواحات واحتلوا البحرية والفراغة كما تعرضت هذه البلاد مرة أخرى لخطر الغزو فى عهد رمسيس الثالث عندما هجمت قوات الليبيين على مصر من الغرب ومن البحر يؤيدهم حلفائهم من الشعوب البحرية التى وفدت من أوروبا . وأخذ رمسيس الثالث بعد رده الخطر عن مصر بإصلاح ما أفسدته الحرب ، وكان للواحات نصيب من عنايته فإنه أخذ فى غرس حدائق الكروم فى كل من الواحات الشمالية والجنوبية لكى تقدم النبيذ إلى معابد أمون رع كما جاء فى بردية هاريس . واستمر من جاء بعد رمسيس الثالث فى العناية بالواحات وقد



٤ - مقبرة بانتيو - مدخل حجرة الدفن ١٠ بالواح البحرية ( الأسرة ٢٦ )

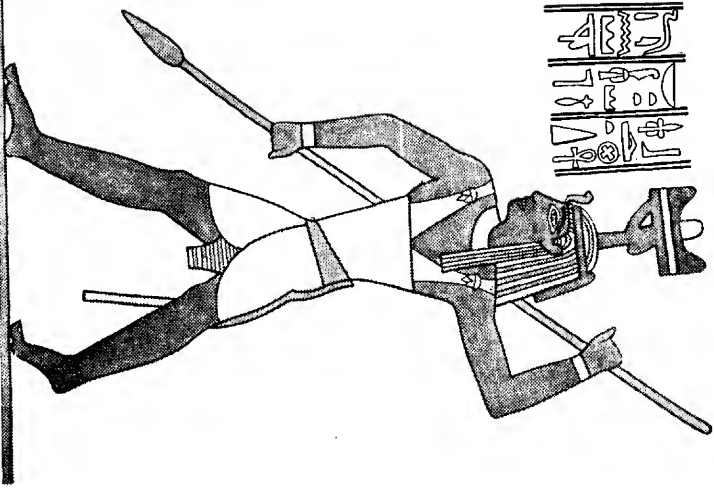


كشفت الرياح منذ عام ونصف عن بقايا معبد من معابد الأسرة التاسعة عشر على مقربة من بلدة بلاط في الداخلة ومن النقوش التي ظهرت نعرف أن الملك رمسيس التاسع أعاد بناء ما وجدته قد تهدم من المعبد كما صنع أبواباً جديدة له . وتوجد على مقربة من هذا المعبد جبانة لم يبق أحد بحفرها إلى الآن ويرجع تاريخها إلى الدولة الحديثة .

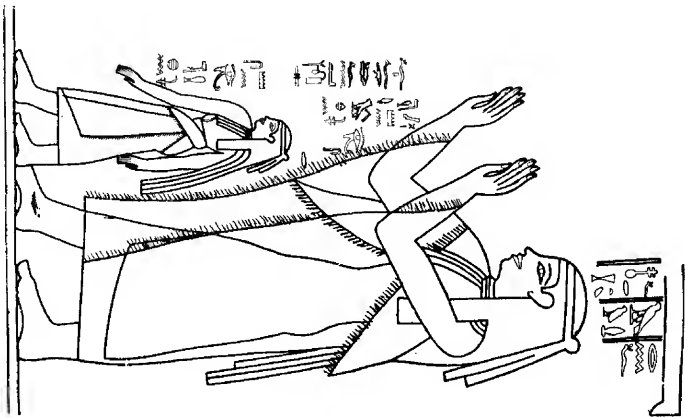
وفي الأسرة الواحدة والعشرين اتخذ الملوك الواحات الخارجية منفى لمن يفضبون عليهم من سكان طيبة الذين كانوا دائمي الثورة على الحكام في ذلك الوقت وقد اضطر الملك منخسر رع إلى العودة من الشمال لإخماد إحدى الثورات التي قامت في طيبة للمطالبة بعودة المنفيين فلم يجد أمامه من سبيل إلا النزول على إرادة الأهالي ولو أنه جعل هذا النزول أو التراجع كأمر إلهي من وحي أمون رع الذي أمر بعودتهم كما أمر في الوقت ذاته بألا ينفي بعد ذلك أحد من أهل طيبة إلى الواحات .

وعلى ذكر هذا النص أود أن أشير إلى نفوذ كهنة أمون رع الذي بدأ يسيطر سيطرة تامة على كل شيء سواء في حياة الأهالي أو في شئون الحكومة إذ أصبح جواب الإله على أي سؤال كافياً لتبرئته أي مجرم أو إدانة أي بريء كما أن جواب الإله هو الكلمة الأخيرة في تعيين شخص في وظيفة أو حرمانه منها وبذلك أصبح للكهنة أو أصبح لأساليبهم السلطة التامة على حياة الشعب الذي كان يؤمن بصحة الوحي وصحة النبوءات وكان من أثر ذلك أن بعض كهنة أمون أسسوا في بلاد اليونان وفي واحدة سيوة نبوءة مثل نبوءة طيبة . وقد أصبح معبد أمون في سيوة بعد وقت غير كثير أشهر مراكز الوحي والنبوءات في شمال أفريقيا بل كان في رأى سكان بلاد اليونان أنفسهم أصدق وأهم من أكثر النبوءات في بلادهم .

وإذا كان الليبيون قد عجزوا عن غزو مصر بجيوشهم في عهد الأسرتين التاسعة عشر والعشرين فإنهم بدأوا يتسللون إلى مصر ويستقرون فيها ويخاضمون ملوكها حتى آل إليهم الأمر في الأسرة الثانية والعشرين ولكنهم استقروا قبل ذلك في الواحات وهذا هو السبب الذي جعل ملوك هذه الأسرة يهتمون أكبر



٢ — الإله « حا » إله الصحراء وعلى رأسه العلامة الخاصة  
بالصحراء وأمسك في يده حربة

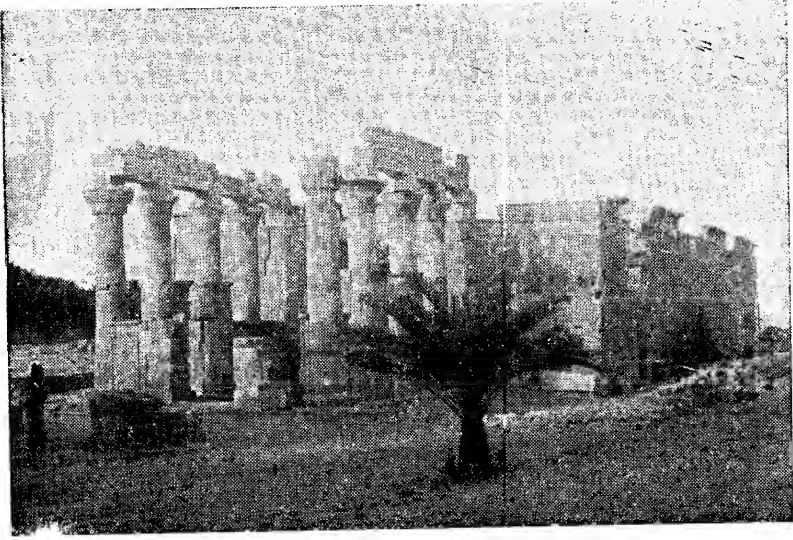


٥ — تانفرت باست وابنتها في مقبرة زوجها تاني  
في الواحات البحرية

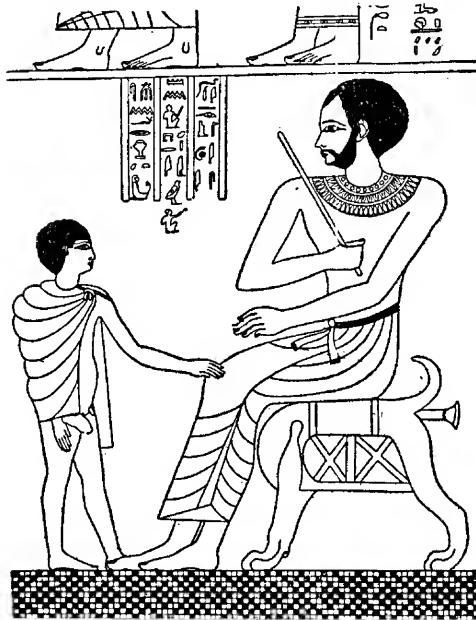
الاهتمام بمواطنهم القدامى فتم إرسال شيشنق الأول أحد موظفيه ليفحص حالة الواحات ويقترح ما يؤدي إلى عمارتها . ووصلت إلينا آثار كثيرة من الخارجة والداخلية من هذا العهد كما عثرت في الواحات البحرية على لوحة مقامة على مقربة من هيكل وعليها اسم الملك شيشنق الرابع وفي عهد هذه الأسرة عاش شخص يسمى « إرعوا » في الواحات البحرية أسس عائلة حكمت هذه الواحة التي بلغت أوج ازدهارها أحد أحفاده وهو كبير كهنة الواحات وحاكمها « زد خونسو أوف غنخ » الذي عاش في عهد الملك أحسن الثاني في الأسرة السادسة والعشرين .

بدأت مصر عهداً جليداً في الأسرة السادسة والعشرين واستيقظ الشعور القومي فغمرت البلاد موجة من موجات النهضة والإصلاح وظهر أثر ذلك جلياً في الواحات . ففي سيوة بدأ تمصير المعبد اللبى القديم في عهد أمازيس بأن أضاف عليه حاكم سيوة المسمى « سوتخ إروس » بعض العناصر المعمارية المصرية وأهمها الكورنيش كما نقش الهيكل برسوم تمثل أهم آلهة مصر وخاصة آمون رع وثالوته . وفي الواحات البحرية كشفت عن بقايا معبد كبير من عهد أيريس ومعبد آخر من عهد أمازيس وأربعة هياكل مستقلة للآلهة المختلفة غطيت جدرانها برسوم الآلهة المختلفة والمناظر الدينية كما نحت الموظفون لأنفسهم عشرات المقابر وزينوها بالرسوم وأهمها مقابر باعشر وثاقى وبانتنيو وزد آمون أوف غنخ . وفي الخارجة وضع أمازيس أساس معبد هييس ولكن اضطراب الأمور في البلاد لم يمكن ملوك هذه الأسرة من إتمام بنائه فلم يَبُنْ أكثر أجزائه إلا في عهد الفرس كما أنهم هم الذين أمروا بنقش جدرانها .

ويرجع السبب في اهتمام الملك داريوس بالواحات وإتمام معبد هييس إلى رغبته في إرضاء المصريين ومحو الأثر السيئ الذي تركته أعمال قمبيز . وقد روى هيرودوت أن قمبيز سير جيشاً من طيبة لإخضاع واحة آمون وحرق معبده وقتل كهنته . وغادر الجيش طيبة ووصل إلى الخارجة التي كان يسميها اليونان جزيرة السعداء وبعد أن استراحوا وتزودوا للطريق تركوها في طريقهم إلى سيوة ولكن لم يصل أحدهم من جنود قمبيز إلى تلك الواحة كما لم يعد أحد منهم ( ١٢ )



٧ - منظر عام لمعبد آمون بالخارجة الشهير باسم معبد هيبس ويرجح العلماء أن الذي بدأ في  
عمارته هو الملك أحسن الثاني من ملوك الأسرة ٢٦

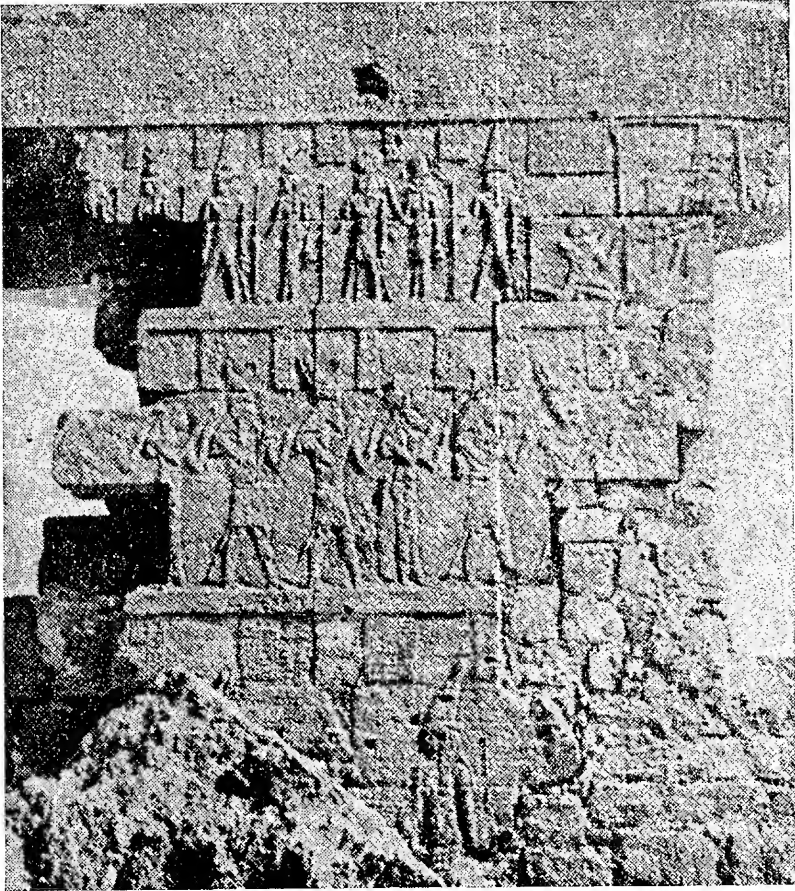


٨ - رسم يمثل «سا آمون» أحد أصحاب المقابر في سيوه

إلى الخارجة ولما سئل كهنة أمون عن ذلك أجابوا بأن إلههم انتقم من أعدائه وأن الجيش كان في منتصف الطريق عندما هبت عليه عاصفة رملية عند استراحته وقت الظهيرة دفنهم جميعاً . وما زال مكان دفن هذا الجيش سرّاً من أسرار الصحراء الغربية وطالما ألهمت فكرة العثور على هذا الكنز خيال بعض الرحالة في الوقت الحاضر فتبامت بعثات عديدة قبل الحرب الأخيرة بالسيارات كما استخدم البعض طائرة للبحث وكل منهم يدّعي خيال الملايين من الجنين التي يمكن الحصول عليها من بيع أسلحة خمسين ألف جندي وما معهم من عتاد .

كانت شهرة نبوءة سيوة هو السبب الذي دعا قمبيز إلى إرسال حملة فلما عرف الناس ما حاق بالجيش زادت شهرة هذه الواحة وإلهها وأخذت وفود ملوك البلاد الإغريقية وكبار رجالها يحجون إلى سيوة ليسألوا كهنتها عما ينخبئه لهم الغيب . وكانت هذه الشهرة العظيمة هي التي حملت الإسكندر الأكبر على القيام برحلته الشهيرة كما كان صادق نبوءات الكهنة هو الذي جعل البطل المقدوني يخلص لأمون إلى آخر أيام حياته حتى أنه طلب من صديقة الحميم « أريديوس » وهو في سكرات الموت ألا يدفنه إلا على مقربة من أبيه أمون في سيوة ولكن تدخل بطليموس وتصميمه على دفنه في الإسكندرية حال دون تنفيذ هذه الرغبة . ومن الغريب أننا لم نعر على اسم الإسكندر إلى الآن في واحة سيوة والمعبد الوحيد الذي أبقت عليه الأيام من عهده في الواحات هو المعبد الذي عثرت عليه في البحرية عام ١٩٣٩ .

وازدهرت الواحات في أيام البطالمة وخاصة في أوائلها ونجد من هذا العصر جبانات كثيرة في سيوة وفي البحرية أهمها كلها مدفن طيور ألييس في البحرية ومقبرة « سا أمون » في سيوة . وقد كشف عن هذه الأخيرة وثلاثة أخرى منقوشة أهالي سيوة بين شهري نوفمبر وديسمبر عام ١٩٤٠ عندما أغارت الطائرات الإيطالية عليهم وأمطرتهم بقنابلها ففزعوا إلى جبل الموتى هرباً من الموت وأخذ من لم يجد قبراً يأوى إليه في البحث في جوانب التل عن قبر جديد . ويظهر أن سا أمون من أصل إغريقي استوطن سيوه وتزوج من مصرية ودان بديانة



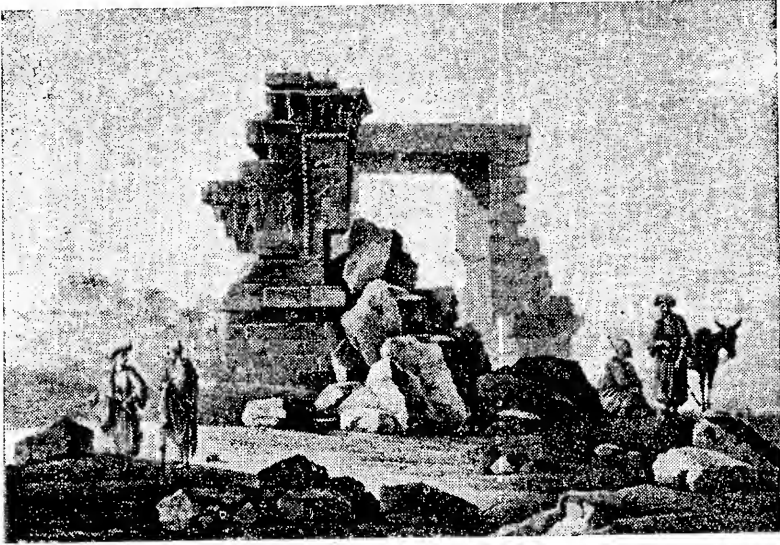
٩ — معبد آمون في جهة أغورى أو معبد أم عبيدة ويرجح تاريخ هذا المعبد إلى عصر الملك  
نختنبر الثانى من ملوك الأسرة ٢٦

المصريين وكون لنفسه ثروة مكنته من عمل هذه المقبرة العظيمة التي لا جدال في أنها أجمل ما ظهر من مقابر في الصحراء الغربية . ونرى في هذه المقبرة وفي غيرها أثر امتزاج الفنين المصرى واليونانى . ونرى في الواحات الخارجة من أيام البطالة بعض الآثار أهمها كلها معبد قصر الغويطة على مقربة من بولاق .

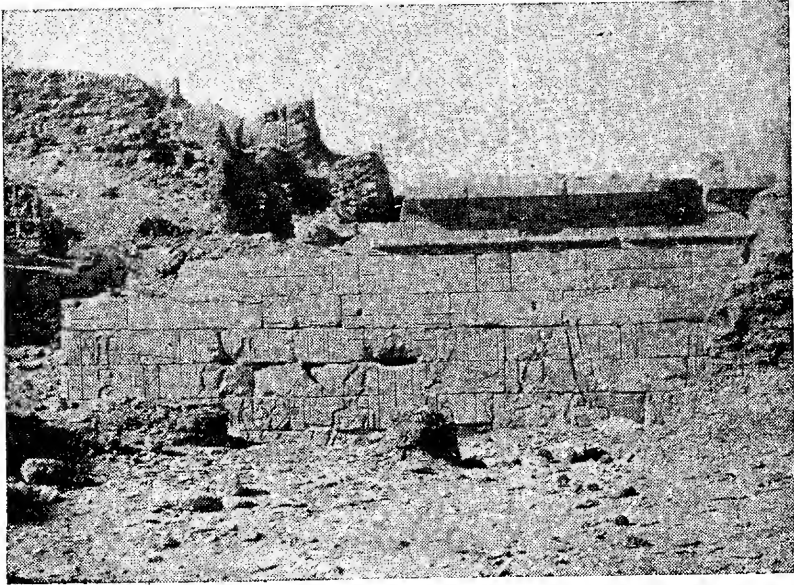
رجاء العصر الرومانى فدخلت الواحات في عهد جديد من الرخاء لم تره منذ أيام الأسرة السادسة والعشرين إذ اهتموا بتعمير الصحراء وحراسة دروبها لتشجيع التجارة كما اهتموا بالزراعة إلى أبعد الحدود فظفروا عيون المياه القديمة كما حفرُوا عيوناً جديداً وعمدوا الصهاريج لتخزين مياه الأمطار كما استحدثوا في الواحات نظاماً فريداً للحصول على المياه في المناطق التي لم يمكن فيها حفر العيون إذ كانوا يحفرون سراديب في الصخر تسير كيلومترات عديدة ولها منافذ من أن لآخر توصلها بسطح الأرض وتسير هذه السراديب بانحدار فتتجمع المياه وتتدفق إلى أن تسب في مكان واطيء وتصبح كالعين ويمكن الاعتماد المطابق عليها في الري وخير مثال لهذه السراديب التي ما زالت مستعملة إلى الآن نراه في الباويطى ، في الواحات البحرية وأهم منه ما نراه في المنطقة المعروفة باسم أم الببادب في شمال الخارجة .

ولو أردنا أن نحصر المناطق الأثرية من عهد الرومان في جميع الواحات لوجدنا أنها تبلغ المئات لأنهم اهتموا بكل مكان ونرى اليوم آثار مبانيهم ومقابرهم في بعض الواحات المهجورة مثل البحرين والنواميسه وخاصة واحة الأعرج بين سيوة والبحرية وكلها غير مأهولة الآن كما نرى آثار مبانيهم في المائلة وأبو منقار بين الغرافرة والداخله ويكفى أن أشير إلى اثني عشر منطقة فقط وهي معابد الناضورة وزيان ودوش والحصن الرومانى المعروف بالمدير في الخارجة ثم معبد عين أمور بين الخارجة والداخله وجبانة بشندى ومعبد القصر بالداخله ثم حصن الغرافرة ومنطقة الحيز ثم قصور محارب في البحرية وقريشت وبلاد الروم في سيوة .

ولما انتشرت الديانة المسيحية في وادى النيل سار بها المبشرون إلى الواحات فلكيت إقبالا كبيراً وساعداً على انتشارها بعد الواحات عن مضطهادى الكنيسة



١٠ - كان جزء كبير من هذا المعبد قائماً حتى عام ١٨٩٣ ولكنه تهدم قبل عام ١٨٩٨  
(عن مؤلف لفون مينوتول قنصل ألمانيا في مصر في عام ١٨٢٠)



١١ - معبد قصر دوش ويرجع تاريخه والمدينة التي حوله إلى عصر البطالمة

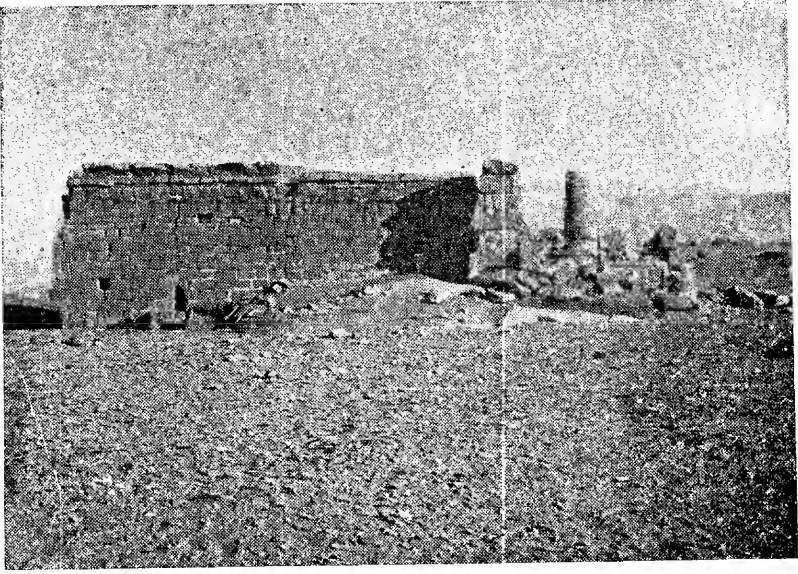


ونعرف تمام المعرفة أنه في منتصف القرن الثالث الميلادى كانت توجد جالية مسيحية كبيرة في الخارجة يقيمون في جنوبها وكان خير عون لإخوانهم في الدين الذين يهربون من الاضطهادات أو ينفيهم الرومان إلى تلك البلاد .

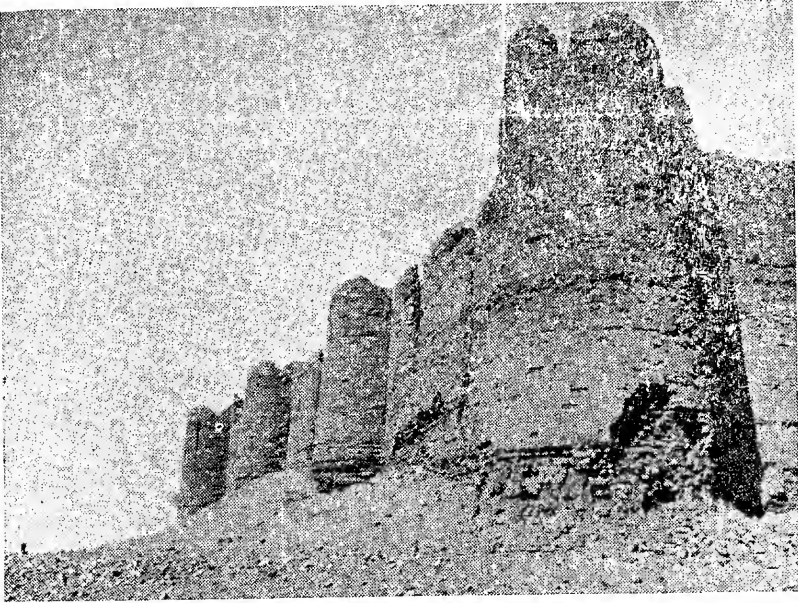
وقد عثرت منذ عامين في الواحات البحرية على منازل بعض المسيحيين ووجدت فيها آثاراً أثبتت أنها كانت عامرة في القرن الرابع الميلادى . وفي الواحة الصغيرة المعروفة باسم واح الحيز توجد كنيسة من أقدم الآثار القبطية إذ يرجع تاريخها إلى القرن الرابع وما زالت حافظة لكيانها إلى الآن .

وقبل بناء هذه الكنيسة اتخذ المسيحيون في هذا المكان النائي في الصحراء من أحد القصور الرومانية مكاناً حولوه إلى كنيسة ورسوموا على جدرانها كثيراً من الرموز المسيحية كما أقاموا في وسط الحجرة مذبحاً . وقد عثرت في العام الماضى على هذا المكان وأعتقد أنه يرجع في تاريخه إلى الزمن بين منتصف القرن الثالث أو أوائل الرابع .

وكانت الواحات في أيام التناحر بين اليعقوبيين والنسطوريين منى يرسلون إليه من يغضبون عليه من آباء الكنيسة ولهذا جاء إليها الكثيرون وربما كان ذلك هو السبب الذى مكن المسيحيين من أهل الواحات من إقامة جبانهم المعروفة تحت اسم البجوات على هذه الصورة العظيمة من الفخامة والرقى في العمارة إذ أنها تعتبر بحق من أهم وأقدم الآثار المسيحية في العالم . وتشبه هذه الجبانة بشوارعها وهياكلها القائمة مدينة مهجورة إذ تحتوى على ٢٦٣ هيكل أكثرها مزخرف من الخارج ويغلب عليها أثر الطراز البيزنطى كما احتفظ خمسة منها بزخارفها الملونة وأهم هذه الهياكل الملونة اثنتان إحداهما يرجع تاريخها إلى القرن الرابع وقبعتها ملأى بمناظر مختلفة من التوراة والقليل من المناظر المسيحية وأهم مناظرها منظر خروج بنى اسرائيل من مصر يتقدمهم سيدنا موسى ويتبعهم فرعون وجنوده . أما القبة الأخرى فهي بيزنطية الطراز ومناظرها الملونة على جانب كبير من الدقة وهى تمثل بعض مناظر مما جاء في قصص التوراة ولكن يوجد بينها مناظر مسيحية صرفة مثل رسم السيدة العذراء وقد جاءتها البشارة ورسم القديسة ثكلا وأمهما القديس بولس .



١٢ - منظر عام لمعبد القصر في الواحات الداخلة ويرجع تاريخه إلى أوائل أيام حكم الرومان في مصر



١٣ - أحد الحصون الرومانية المقامة على طول درب الأربعين وكان مقر إحدى الحاميات ويطلق عليه الأهالي الآن اسم الدير

وهذه الجبانة مصدر من أهم المصادر للدراسة فن البناء بالطوب وخاصة في إقامة العقود والأنواع المختلفة من القباب ويوجد في العشرات من هياكلها آلاف الكتابات باللغات اليونانية واللاتينية والقبطية والعربية وبعض هذه الكتابات له أهمية تاريخية غير قليلة .

وبمناسبة ذكر هذه الجبانة أود أن أشير إلى حقيقة لها أهميتها فإن أكثر الباحثين يعتقدون أن آخر مكان استمرت فيه عبادة الآلهة المصرية القديمة هو جزيرة فيلة حتى جاء الإمبراطور جوستينيان فأغلق المعابد في عام ٥٢٥ ميلادية . ولكني أعتقد أن عبادة أمون وعبادة الشمس استمرت في سيوة بعد هذا التاريخ بأكثر من مائة سنة لأننا نعرف من تاريخ حياة القديس صمويل أن أهل الواحة التي حملوه إليها كانوا يعبدون الشمس ولم يكن بينهم مسيحيون وتقهرت الواحات في العصر العربي وأخذت الحمى وهجمات البدو فتفتك بمن فيها حتى كادت تقفر من ساكنيها فلما مر بها الإدريسي في القرن الثاني عشر لم يجد أحداً من السكان في الواحات البحرية ولكنه ذكر أن سيوة كان يقطنها مسلمون . وفي عهد المقریزی أي في القرن الخامس عشر كان تعداد سكان سيوة نحو ستمائة شخص فقط . وقد دخلت الواحات منذ فتحها في عام ١٨٢٠ في عهد جديد .

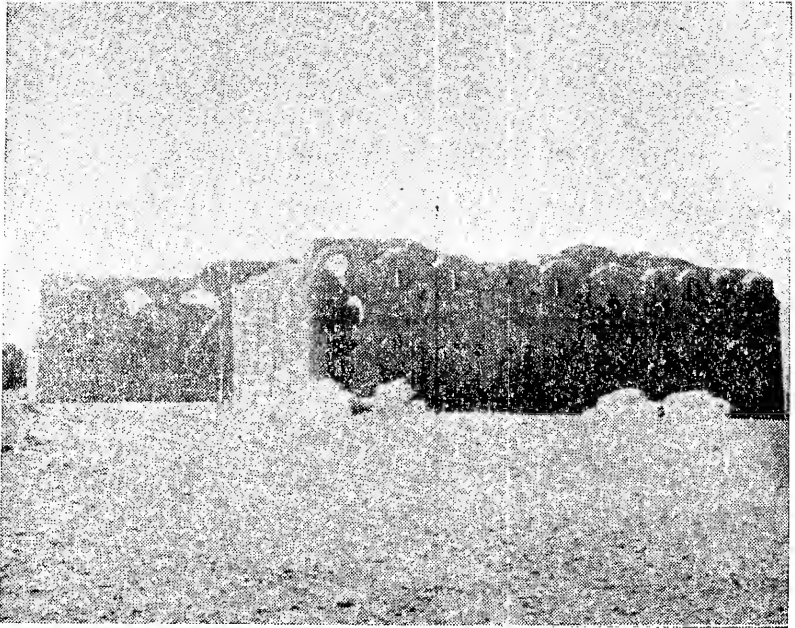
هذا عرض خاطف للواحات المصرية في التاريخ رأيت فيه شيئاً قليلاً من آثارها وإذا كانت دراسة مناطقها الأثرية - ما زالت في المهد فلن أرجو أن يحين اليوم الذي تقص فيه رمال الواحات ما مر عليها من أحداث فتضيف إلى علم الآثار وإلى تاريخ وادي النيل كثيراً مما نحن في حاجة إليه <sup>(١)</sup> .

أحمد فخرى

(١) عرضت الصور بالفانوس السحري وكان مجموعها ستين صورة انتخبنا منها أربعة عشر صورة فقط لنشرها مع هذا البحث لإعطاء فكرة عن بعض ما في الواحات من آثار . [ محاضرة ألقيت في دار الجمعية التاريخية ]



١٤ -



١٤ ب -

رسمان لبعض هياكل جبانة البيجوات في الخارجة وهي من أهم الآثار المسيحية القديمة في العالم  
ومن أهم المصادر لدراسة فن العمارة البيزنطية